الشخصية والعنف قراءة في راس المحنة لـ: الروائي عز الدين جلاوجي.

Personality and Violence: Reading in Ras Al-Muhannah

طالبة دكتوراه/ لعدلي حدة
الأستاذة الدكتورة / نعيمة بوزيدي

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة علي لونيسي–البليدة 02(الجزائر)
مخبر الدراسات الأدبية والنقدية ، جامعة البليدة 02 .
Haddaladli1234@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/30 تاريخ القبول: 2018/07/13 تاريخ النشر: 2020/11/30

ملخص:

إنّ ما يتطلّبه الفن الروائي في بناء الحدث والشخصيات؛ يجسّده صناعة وتشكيل الشخصية تشكيلا فنيّا ذا دلالة إيحائية تلغي سذاجة التقديم السطحي والتقريري لها، والبناء الفنّي لكلّ شخصية يتحدّد هو الآخر من دعم طبيعة تشكّله من حيث الدلالة الرمزية للاسم الذي تتحرّك به الشخصية داخل أحداث الرواية، حيث نجد الشخصية التي وظّفت وهي تتقمّص أدوارا تباينت من حيث الفعل وردّة الفعل، وقد وسمنا هذا السلوك في مقدّمة البحث الذي تنتهجه الشخصيات بالشخصيات المنتجة للعنف وأخرى مستقبلة له لكي تفعل وتتلقّى الفعل؛ وإن كان هذا الفعل الذي تتلقّاه الشخصية المستقبلة للعنف هو بمثابة الفعل في شكله السلبي – لأنّ فيه الفاعل – ماهي العلاقة بين الشخصية المنتجة للعنف وبين نظيرتها ؟ فإذا كانت الشخصية الروائية كما يقول عبد الملك مرتاض : هي العالم الذي يتمحور حوله كلّ الوظائف، هل هي أيضا مصدر إفراز الشر في السلوك الدراسي لعمل قصصي ما؟

الكلمات المفتاحية:الشخصية الروائية؛العنف؛عز الدين جلاوجي؛ راس المحنة؛

Abstract:

Ce que l'art roman requiert dans la construction d'événements et de personnalités s'incarne dans la fabrication et la formation du personnage avec une forme artistique suggestive qui nie la naïveté de la présentation superficielle et déclarative, et la construction artistique de chaque personnage est également déterminée en soutenant la nature de sa formation en termes de signification symbolique du nom dans lequel le personnage se

déplace dans les événements du roman, Où nous trouvons le personnage qui était employé tout en assumant des rôles variés en termes d'action et de réaction, et nous avons étiqueté ce comportement au premier plan des recherches menées par des personnalités avec des personnages produisant de la violence et un autre récepteur pour lui afin de faire et de recevoir l'acte; et si cet acte reçu par le destinataire de la violence Et l'acte est dans sa forme négative - parce qu'il contient l'auteur - quelle est la relation entre la personnalité violente productrice et son homologue? Si le personnage fictif

, comme l'a dit Abd al-Malik Murtad, est le monde autour duquel tournent tous les emplois et les préoccupations, est-il aussi la source du mal dans le comportement académique de certaines œuvres fictives?

key words: : personnage de romancier; violence; Izz al-Din Gallaji; RasalMahnah

المقدمة:

تعدّ الشخصية الروائية المكوّن الرئيس للنصّ السردي، وهي بمثابة المحرك للوقائع التي يسردها الراوي و قد عدَّها **تزفيطان تودوروف** "موضوع القضيّة السردية"[1]، وهي التي تعطي الأهمية للرواية كلها والشخصية عنصر أساس ينتفي من دونه الحدث الروائي، فلا يمكن تصور رواية أو قصّة أو مسرحية دون الشخصيات المؤسّسة لها، وبذلك كانت مركزا للنقد الأدبي قديما وحديثا،فنجد النظرة الكلاسيكية للشخصية لا تتجاوز كونها "مجرّد اسم للقائم بالأحداث"[2]، أمّا النقاد المحدثون فيرونها "بمثابة الفاعل في العبارة السردية "[3].

ومنه تعدّ الشخصية الروائية من أبرز عناصر السرد ومادته التي تصنع الحدث حتّى تنشأ الحركة في المتن الروائي.

أدرج الكاتب "عز الدين جلاوجي" في رواية "راس المحنة" شخصيات كثيرة، تدور أحداثها حول مجتمع يعيش في -حارة الحفرة – في إحدى المدن الجزائرية في زمن الثورة لينتهي عند العشرية السوداء. يطرح الروائي من خلال هذه الرواية أسئلة كثيرة عن السلطة والوضع السياسي والإرهاب ومكانة المثقف و حريّة التعبير، هي رواية تبحث عن الخلاص من المحنة التي أحاطت بهذا المجتمع، كما وظّف الكاتب شخصيات استباحت الأرض والعرض لممارسة السلطة والنفوذ والابتزاز، وشخصيات تعرّضت لاغتصاب أحلامها وطموحاتها سعت للدفاع عن حقوقها التي أضحت مجرّد أمنيات في زمن الصراعات والمحن. ، وقد ركزنا على الشخصيات الأكثر فعالية في الحدث؛ وجاء التقسيم على النحو التالي:

الشخصيات المنتجة للعنف والشخصيات المستقبلة له.

الشخصيات المنتجة للعنف:

ارتأينا أن نستهلّ الحديث بالوصف والتحليل للشخصيات المنتجة للعنف، حيث قدّمت لنا رواية "راس المحنة" شخصيات تباينت فيما بينها من حيث الأبعاد الفزيولوجية و الاجتماعية والنفسية واختلفت الدوافع التي ركّبت فيها هذا التنوّع السلوكي الذي وجّه حركتها في صناعة الحدث الروائي . فالشخصية؛ لا تتحرّك إلاّ بدافع نفسي أو مخزون أو غاية تهدف هذه الشخصية للوصول إليها.

كما يتطلّب الحديث عن الشخصيات التي تقدّمت في الرواية وهي تنتهج السلوك الذي يميّزه طابع العنف وسلوك العنف في شكله المعنوي، اللّفظي. لقد قمنا بعملية السرد لهذه الشخصيات من حيث ما يميّزها من سلوك تتحرّك به في متن الرواية من خلال علاقتها مع شخوص الرواية التي تشترك في بناء الحدث وهذه العلاقة حتّى تكون مصدرا للعنف ينبغي أن ترتبط الشخصيات – فيما بينها – في علاقة عداء وتنافر حتى يجد القارئ تبريرا يُقنعه بسلوك العنف .

إنّ من أهمّ الشخصيات التي أطلعتنا بها رواية "راس المحنة " شخصية "امحمّدالملمّد" هذه الشخصية التي تعمّد الكاتب منحها اسما تسجيليا مربوطا باسم عُرفي " الملمّد" ويبدو أن الروائي قصد إلى هذه الثنائية الاسمية التي كشفت عن التقابل والتضاد في الدلالة الاسمية في هذه الشخصية، ففي العرف نجد الآباء يختارون الأسماء المميزة لأبنائهم تيمّننا بها مثل: كريم ليكون كريما، شريفة لتكون شريفة ..الخ.

إنّ اسم "امحمّد " مشحون بأسمى دلالات الأخلاق السامية والنبيلة التي اجتمعت فيها كلّ الصفات الحميدة ، إلاّ أن هذه الأسماء في بعض الأحيان لا نجدها تتطابق مع مع الشخصية التي تحملها وقد تنتقل هذه الشخصية في سلوكها إلى الصفة المضادة لموسومها لذلك نجد الروائي قد لجأ غلى محاولة نسخ الاسم التسجيلي " امحمد" ونحته إلى" مُلمد "باستبدال حرف (الحاء) بحرف (اللام) وذلك حتى يكون الاسم العُرفي الملمّد ملائما وكي يتماشى مع سلوك العنف واللا خلق ، وهي عملية تفجير لما يحمله البعد الدلالي لـ" امحمدالملمدّ " حتى ينزّه الكاتب اسم النبي "محمّد صلى الله عليه وسلّم" الذي يحمله الملمّد حتى لا يصبح الفاعل السيئ والشرير والمجرم كأن يقال:

فعله الملمد وليس "محمد".

قدّمت لنا الرواية شخصية " امحمّدالملمّد" من خلال هذا النص الذي يعرض علينا وصفا وهو بمثابة بطاقة تعريف لشخصه، وقد ترك الكاتب هذا التعريف للشخصية كي تقدّم لنا نفسها بنفسها :

" فرقعت أصابعي ..حاولت إدارة الخواتم الذهبية اللماعة ...مررت راحة يدي على اليمنى فاليسرى على بطني انتفخت أكثر ممّا يجب .. لا بأس ما دام الناس هذه الأيام يهابون الكروش المنتفخة .. ومادام القميص الحريري يسترها ..ركبت سيارتي الطيّارة ..اليخت ..كما تسميها خليلتي سوسن .. ،في طريقي لم أكن أرى الناس أمامي وما كنت أحبّ أن أراهم يخيّل إليّا أن أياد تلوح بالتحية ولكني ما كنت آبه بهم أولاد الكلب ..كلّما أمعنت في إذلالهم ازدادوا لي خنوعا ..جوّع كلبك يتبعك"[4]

من خلال هذا التصريح يتبيّن أن "امحمّدالملمّد" من الطبقة التي تمتلك الثروة المالية، وقد تكون من مصادر تتعارض مع الطرق الشرعية لكسبها، فنجد سمعة هذه الشخصية توزعت وانتشرت في حارة الحفرة.

"عليك لعنة الله تنام على الملايير من تجارة الحرام والتهريب والرشوة ثم تفتح فاك لتشمت بالفقراء الشرفاء يضحّون ليحفظوا لك النظام .عليك لعنة الله لو كان الحق قائما لذبحتك قبل الجميع لأنّ أمثالك هم الذين يشيّعون الفاحشة والمنكر وهم الذين يزرعون الإرهاب في جنباتنا الآمنة "[5].

إن هذه الشهادة التي تقدّمت ضدّ "امّحمّدالملمّد" بأنّه يتاجر في الحرام، وهذه التجارة أدّرت عليه أموالا طائلة، مهّدت أمامه الطريق للوصول إلى الرغبة في اقتناص المناصب السياسية في الدولة حتى يضمن الحماية لنفسه من جراء التجارة الممنوعة.

يطلعنا النص على هذه الشخصية الانتهازية التي بيّن من خلالها الروائي أنّها وصلت بدم هذا المال الفاسد إلى منصب رئيس البلدية ليتمكّن من القبض على زمام التحكّم في البلدية التي يرأسها ويقوّي ساعده لتمتدّ يده إلى اغتصاب الفتاة "عبلة الحلوة" التي تسكن هذه الحارة وذلك باعتراف " عزيّز " لمنير بعد أن أكّد أهل الحارة أنهم رأوها تدخل إلى محله آخر مرة إلى محلّه فصرّح قائلا : " هذا الدكّان هو للحاج امحمد الملمّد.. وما أنا إلاّ أحد خدمه وهو لم يقمه هاهنا إلاّ لاصطياد من يشاء من الغيد الكواعب وكان اللعين قد وعدني أن يتنازل لي عن المحل

إن أنا اصطدت له الحلوة ... وفعلا نفذت له بغباء ما يريد ..ثمّ لم أحصل على شيئ ..لقد شربتها مخدّرا ومن هنا حملناها فاقدة الوعي حتى وقع الذي وقع "[6] وبعد محاولته الاعتراف لمركز الشرطة اختطف في الطريق من قبل شاب غير معروف ومن ثم لم ير له أثر ولكنّهّ " وجد مختنقا في دكّانه بفعل تسرّب الغاز..."[7]

ولو أردنا أن نجد تفسيرا لشخصية عبلة الحلوة لوجدنا أنها تمثل صورة لواقع الجزائر الذي استغلّت فيه عصابة المال الفاسد الظروف لتستبيح الوطن وتعيث فيه فسادا من خلال النهب والاستغلال وفي مقابل هذه الصورة تمتثل أمام القارئ صورة "عبلة الحلوة " وهي تسعى لإبلاغ الشرطة بعد أن: " وقعت في شراك "امحمّدالملمد" الذي اقتادها كالفريسة واغتصب شرفها وما إن أشبع غريزته الحيوانية حتّى أطلق سراحها وحين ذهبت للشرطة لتبلغ أبقوها عندهم خوفا عليها من أبيها "[8] وبعد عزوف الشرطة عن إظهار الحق والحكم على الجاني لتختفي عبلة نهائيا عن الأنظار: " منذ ذلك اليوم لم تظهر الحلوة ولم يرها أحد في الحارة ولا في المدينة كلها ...لعلّها فرّت بآلامها إلى مكان بعيد حيث بلا نراها ولا تحاصرها عيوننا المتلصّصة ..أو ربّما انتحرت في هاوية سحيقة وهوى معها سرّها إلى الأبد وربّما اختطفت وقتلت ...وربما... "[9].

تعود مرجعية عدم استجابة الشرطة لشكوى "عبلة الحلوة " إلى قوّة نفوذ "امحمدالملمّد" الذي عمل على توزيع ونشر نفوذه على السلطات المحليّة لحارة الحفرة واستطاع أيضا السيطرة على بعض سكّان الحي واستذلّهم باستقوائه وبما يملكه من ثروة .

ومن بين ضحاياه يعرض علينا النص شخصية "منير" الذي دعّم امحمّد الشكوك ضده حول أن لديه يد في تجارة المخدّرات وذلك باعتراف آخر من طرف شخصية عزيّز حيث اعترف له بالحقيقة كاملة : " هو الذي كان وراء سجنك لقد اتهمك في المتاجرة بالمخدرات"[10] .

تتواصل سلسلة الشخصيات التي عانت من سطوة "امحمدالملمّد" فنجد شخصية

"الجازية" التي تتقدّم في الرواية على أنّها امرأة تمتلك نصيبا من الثقافة التي نمّت فيها الوعي والنباهة وسط سكان "حارة الحفرة" وأكسبتها المناعة وقوَّت فيها إرادتها في رفض طلب الزواج من "امحمّدالملمّد" ومواجهته دون خوف منه قائلة له :

"- ما الذي جاء بك الشيطان إلى هنا..

قلت وأنا أحس بالزمهرير يدهم كلّ عضو في فأنكمش على نفسي:

أعيد الشريط للمرّة الألف ....يا روحي ..ياقلبي ..يا مبتغاي ..ياسيدتي

زوت بين عينيها كأنّما تهم أن تطلق من فوهتيهما رصاصتين قاتلتين وقالت:

-لقد حسمت في الأمر ألف مرّة الطيّبون للطيّبات

وخشيت أن تكمل فتقول كما تعوّدت: وأنت خبيث لا تليق بك إلاّ خبيثة أو تقول كما تعوّدت: أما تستحي من شيبتك فتطلب يد ابنتك ؟

فأسرعت قائلا الحب يا جازيتي الحب لا يعرف السن ..لقد قصدت أباك وفاتحته في الأمر

ولم أكمل حديثي حتّى قفزت مذعورة وغلّقت دونها الباب ..لم أشأ أن أبرح المكان ..بقيت أغدو وأروح في الدهليز ...

وتلاعبت أمامي الساعة صورة جثّة والدي ملطّخة بدمائها كالخروف ..ومظاهر تعذيب أهل القرية بعد تلك المجزرة الرهيبة ...

يا صالح انتظرني ...أنا قادم لن يطوينا الثرى حتى أبول عليك وعلى كلّ من على شاكلتك"[11].

يتجلى من خلال هذا المقطع أن مشكلة "امحمّد الملمّد" ليست مع الجازية نفسها فهو لم يحبّها كما يدعي ونستنتج أيضا أنّه شخصية تمتلئ بالعنف النفسي الذي تتصارع من خلاله رغبات الحب والكره فكيف له أن يحب ويفكّر في الانتقام معا، ولا همّ له إلاّ الإذلال بخصمه وذلك بأعز ما يملك في الحياة فلذة كبده ابنته وقرّة عينه " الجازية"، إنّ صالح الرصاصة يمثّل عدوّه الوحيد وغايته المنشودة هي رفضه له قائلا:

"لقد كان عندي اللحظة مزهوا بماله لقد بال على كرامتي ألف مرّة العميل ابن العميل بالأمس ذبحت أباه وهاهو اليوم يذبحني ألف مرّة لعنة الله على حريّة يذلّ فيها صانعوها ويعزّ فيها أعداؤها... سأقتله وماذا عندي أنا كي أخاف عليه، قبلت بكل شيء إلاّ أن تداس كرامتي ... يطلب يد الجازية ابنة عدوّه، بينهما ثلاثون سنة

أقطّعها وأرميها للكلاب بدل أن يطأها ذلك الخصي"[12].

إن القضيّة ليست مسألة حب أو خطوبة أو زواج؛ بل إنها قضية صراع وخصومة بين أهل الحق وأهل الباطل؛ ولذلك فإنّ شخصية **"امحمدالملمد"** جبانة واستفزازية ينطق بالخير

وداخله العكس يتجرأ على الشتم و إهانة الفقراء الشرفاء الذين لايملكون إلاّ الأخلاق يقول عنه صالح الرصاصة :

"حتى امحمدالملمّد غدا رجلا وتجرأ على خطبة ابنتي.. ابنتي الجازية .. الكلب بن الكلب..اللقيط بن اللقيط خنزير فرنسا..يريد أن يستذلّني"[13]

إن شخصية "امحمّدالملمد" الثائرة لوالده الذي خان وطنه بأبشع الطرق يتنفّس العنف، والغضبُ يعتصرهُ ليلحق الأذى بعدوه الذي اعتبره مجرما وجب قتله، وقد تكوّن عنده عنف اجتماعي منذ طفولته واكتسبه بطريقة خاطئة مثله مثل المال الحرام، فنجده شخصية مريضة بالانتقام غير واعية تماما بأن والده قُتل لأنه يستحق القتل ببساطة وعليه أن يتجاوز الأمر وينتهي منه تماما. فلا داع لكلّ هذه الجرائم والأفكار الشيطانية التي يتخبّط بها، وعليه مراجعة حساباته ويجب أن يتحكّم في نفسه ولا يدعها رهينة للعنف ولا يدعها تنساق وراء الأهواء الكاذبة بل وأسيرة شهوة الانتقام الذي تعشعش داخله، وهو الأمر الذي لا يعود عليه بالفائدة، بل وإنّه يعذّب نفسه بنفسه، إنّه يعذّبها بالضياع والتيه في فلك الدماء الفاسدة، ساعيا إلى مسعى واحد وهو تشويه المنطق الذي ينحصر في قذارة خيانة الوطن والأهل.

يظهر كل هذا بعد أن أفرز هذا الرجل –امحمّد - ردّة فعل عنيفة ضدّ "الجازية" التي صمّم على أن يوظّف أسلوب استغلال يتمثّل في الحاجة إلى المشعوذين كشخصيّة العجوز "عكّة" التي تمتهن السحر والشعوذة كي تمارس هذا الفعل وتنفّد خطّة "امحمّدالملمّد" يُطوّع - بفعل السحر- إرادة "الجازية" ويثنيها حتى تنقاد إلى رغبته .

"خرجت العجوز "عكّة" وتدحرجت نحوي في تثاقل كصهريج زفت فتحت النافذة ...سدّتها بجثّتها ..وأنفاسها المبحوحة تكاد تنقطع ..مدّت يدها تصافحني ..دسست مبلغ مئة دينار ..أطلّت من مغارة فهمها ابتسامة عريضة سال لها لعابها

-أهلا بسيد الرجال ."[14]

يأتي تصريح العجوز "عكّة"التي تمتهن السحر والشعوذة كي تمارس هذا الفعل وتنفّذ خطّة " امحمّدالملمّد" – بفعل السحر– إرادة الجازية ويثنيها حتّى تنقاد إلى رغبته.

"تنعشين قلوب الغرباء وتدعين قلبي يلفظ أنفاسه ؟ لن تبرد جمراته حتّى أطأك كالفحل ..وأوقّع بك صكّ انتصاري على أبيك الأفعى .."[15]

يأتي تصريح العجوز " عكّة" مشحونا بالرغبة والإرادة لتقييد الفتاة وتسليمها له حيث

تقول : " كلّ شيء جاهز ...لقد أحضرت الكلب منذ أيّام ..أنا أنتظر عودتها من العاصمة .اطمئن سأجعل منها كلبتك الأمينة"[16].

كذلك تُظهر الرواية قوّة المال في الإغراء وتطويع فئة من أهل حارة الحفرة، وكيف يتحوّلون إلى بيادقة ممسوخين مسلوبي الإرادة تحركهم يد المال كيفما تشاء، وهاهو " امحمّدالملمّد" يؤكّد ذلك قائلا للعجوز:

"إن فعلت سأكسوك ذهبا...سأجعل منك أسطورة أيتها الساحرة الشمطاء"[17] تبدو المفارقة هنا واضحة في الاستهانة بهذه الشخصية، المغلوبة على أمرها تتجاذبها شخصيتان متضاربتان كعملة نقدية تعكس صفتين وجه الأسطورة ووجه الإهانة "الساحرة الشمطاء".

وهو ما يعزز ثقة "امحمّدالملمّد" بنفسه عندما يجد مثل هؤلاء الأشخاص الذين يرضخون للمال ويرمون بأنفسهم للتهلكة .

أمّا "ذياب" فهو حلقة أخرى تضاف إلى قائمة ضحايا "امحمّدالملمّد" وقد تمثّل أسلوب العنف الذي مارسه على هذه الشخصية في توظيفه لأشخاص تسيّبوا في إضرام النار في بيت سذياب وحرق جميع ما فيه من أثاث وكتب، كان ذلك بعد أن هدّد أهل الحارة الذين ضاقوا بما يفعله من جرم في حقّهم وبما يخطّطه لهم خاصة بعد أن قال ذياب: " أخبرني بعض الشباب أنّ امحمدالملمد قد قدم حارة الحفرة وأعطى الأوامر بإخلاء المساكن لهدمها"[18]، وهذه المرّة بمساعدة الوزارة و" سي سليمان " حيث يقول : " سأتّصل بالوزارة ...بسي سليمان سأحصل على قرار من فوق يثبت بأنّ حارة الحفرة غير صحيّة وغير لائقة للسكن وبقوّة القانون سأهجّرهم جميعا

سأهجّرهم جميعا ..جميعا ....أولاد الكلب"[19].

وكان حرق بيت ذياب في ظنه عبرة لأهل الحارة حتى لا يعاندوه فيما يفعل." ويمكن بهذا الصدد وعندما نذكر العنف في الرواية يمكن أن " نربطه بموضوع الشرّ الذي طالما أقلق البشر وكثيرا ما ارتبط بمفهوم العنف الاجتماعي (عنف الغني ضدّ الفقير) عنف القوي على الضعيف / عنف الصورة /عنف التحرّش الجنسي"[20].

يقول ذياب: "كما داهمت مجموعة من اللصوص بيتي وعاثوا فيه فسادا حيث أحرقوا مئات الكتب وما كتبت من أعمال أدبية ...لقد أحرقه الأغبياء البارحة بعد منتصف الليل ..إنّهم عبيد "امحمّدالملمّد" كنت على يقين من أنّهم سيفعلون.."[21].

- و فيما يلي خطاطة تُظهر الشخصيات التي استعان بها " امحمّدالملمد" لممارسة العنف:

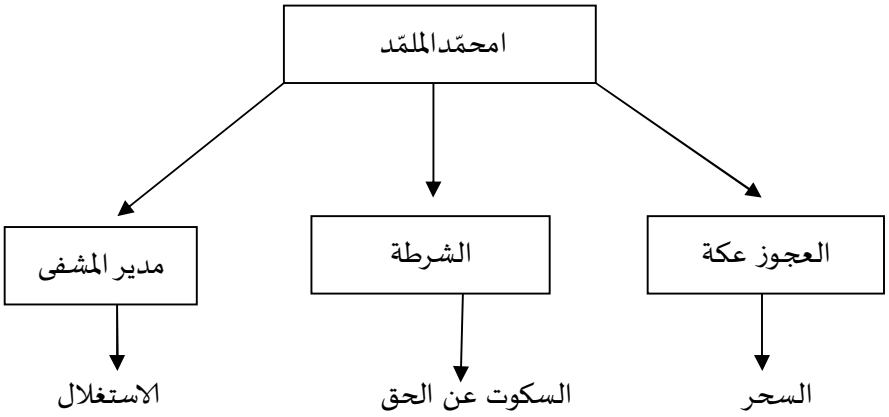

يقول امحمّد: "لو زوجوني الحلوة لفرشت لهم حارة الحفرة ذهبا ولكنّهم عاندوا ودفعوني لاغتصابها ثم هامت على وجهها تبيع جسدها مومسا على قارعات الطرق..

ولو زوّجوني الجازية لفرشت لهم أرض حارة الحفرة وسماءها درا وجواهر ....ولكن لأتزوجنّها أو لأغتصبنّها لتكون عبرة للجميع"[22]. من خلال هذا التصريح يدرك القارئ أن هذه– الشخصية- ينتفي عندها إخلاص النيّة في خدمة سكّان الحي، في حين تحضر الرغبة في السعي وراء إشباع نزواته ورغباته الخاصة، حين وضع رغبته في الزواج من "الجازية" في مركز انشغالاته، وأصبح – عنده – القيام بواجبه تُجاه البلدية، مربوطا بصفقة امتلاك "جسد" " عبلة "الحلوة"، و"الجازية".

وفيما يلي مخطّط للشخصيات التي استقبلت العنف :

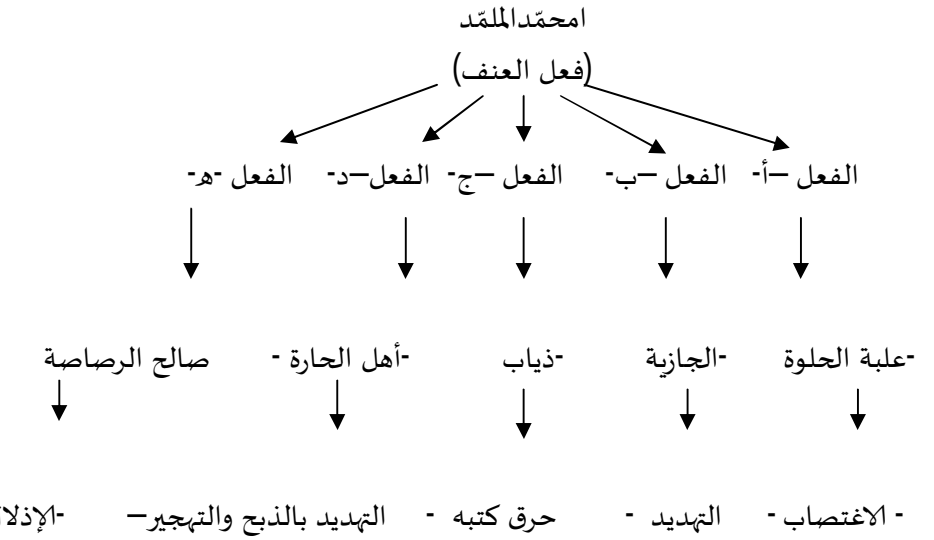

1- **شخصية سي سليمان:**

شخصية تمارس العنف –هي الأخرى- عنف نوعي مصدره استغلال النفوذ في إذلال سكان الحارة وإخماد الشعور بالانتماء وطمس معالم المواطنة لديهم.. وكان المناصب التي استولي عليها هذا النموذج من البشر،فرصة ثمينة لاستغلال الناس وتسخيرهم لخدمته وقضاء حاجاته...أنّه شعور طبيعي عند هذا الصنف من الناس شعور بالرغبة في الانتقام ممّن يراهم كأشباح تتهيّأ؛ لتتقوّى فتهدّد مركزه ليجد نفسه قد أزيح إلى الهامش. ونجده يستغل مركزه، حيث صناعة القرار في سحق وإبعاد سكان "الحارة" إلى منطقة القهر والظلم " الحقرة" " ونترك الرواية تقدم لنا شخصية "سي سليمان" في ثلاثية أبعادها : " مديرنا هذا وطني حقّا، لماذا عيّنوه كان كسلك الحديد ..كأنّه مستورد من إثيوبيا ..البذلة الرمادية وحدها تمشي ..اليوم صار بضخامة ثور يكاد يسقط للخلف ..سرواله القديم لا يسع أصبعه"[23]

وبالاستئناس بالمنهج السميائي لدراسة الشخصيات، يتبيّن لدى القارئ أن:

"سي سليمان" شخصية انتهازية، فهو رمز للإدارة المتعفّنة، إنّه نموذج لبعض المسؤولين الفاسدين الذين لا همّ لهم إلاّ خدمة مصالحهم ولو على حساب المرضى الذين لا حول لهم ولا قوّة"[24]، بحيث استغلّ هذا المنصب للنهب والاختلاس، فاستحالت عنده مديرية المشفى إلى

ملكية خاصة، يتصرّف في ميزانيتها وفق ما يخدم مصالحه الخاصة "مديرنا إنسان وطني ظرب الرقم القياسي في احترام وقته عمله يدخل لمكتبه بعد العاشرة يتصفّح الجرائد التي تشتري على حساب المشفى..يوقّع الوثائق ....يرشف القهوة يحتضن السكرتيرة القنبلة التي اختارها بنفسه بعدما طرد السكرتيرة التي كانت قبلها ..يتّفق معها على موعد السهرة ويخرج"[25]

وقد يتبادر إلى الذهن أن تطابق الأسماء بالمسمّيات، تظهر من زاوية تسمية شخصية "سي سليمان" وإن أبعدنا فكرة "الاعتباطية" فيما ما بين الدال والمدلول، تحضر لدلالة الرمزية لاسم "سليمان" الذي قد يستحضر القارئ النبي " سليمان الملك" الذي سُخّرت له المخلوقات" الجن، الإنس، الحيوانات."في الباب يلتفّ حوله العمّال المخلصون كالكلاب المدرّبة يرقصون بلا إيقاع يملؤون له السيارة بخيرات المشفى ..لحوم حبوب ..خضر..مشروبات ..عند الحادية عشر يخرج ولا يعود حتّى الغد ..أمّا المرضى فلا يعطي لهم إلاّ العدس بالماء"[26]

والقصد من هذه التسمية هو لغرض المفارقة بين النبوّة في عدالتها ونبلها وبين تعفّن التسلّط باسم المركز في وضاعتها واستغلالها النفوذ في خدمة وتلبية الأهداف الشخصية يظهرها المشهد في عبثية سلوكها الذي وظّفته لما لا يخدم المصلحة العامة. وهذا الوصف يعمد فيه الكاتب في الحطّ من هذه الشخصية على مستويات أدنى يمكن في الطمع والجشع أو ما يمكن أن يقترب من اللغة الدارجة مشحونة بالدلالات لتكون أصدق تعبير على سخف وانحطاط وجشع وطمع هذه الشخصية، إنها :" السقاط" ويقابل هذه الشخصية "صالح الرصاصة" كـ - ضمير حي – لسكان الحارة في اعتراضه وانتقاده لسلوك "سي سليمان" من خلال الشكاوى التي قدمّها عنه "إذا نطقت ماذا سأخسر؟ يطردونني من العمل .منصبي يضعونه قلادة في رقابهم ..لاحظ في عيني الغضب نبت في عينه الخوف تركته وخرجت "[27]. وصالح هنا يمثّل "الشخصية الأخلاقية (Moral Character): وتتضمّن الاستمرار في المهمّة الأخلاقية، والتحلّي بالشجاعة، والتغلّب على التعب والإغراء، وتطبيق سلوكيات تخدم هدفا أخلاقيا "[28].

خاتمة :

إذا كان العنوان أولّ ما يواجه القارئ في الكتابات فهو آخر ما يصدر به الكاتب أعماله، إنّه بمثابة خلاصة الخلاصة....يبقى دور القارئ مرهونا بإتمام قراءة النص حتى تستوي لديه فكرة صاحب النص.

هذا ما حدث معنا ، حين أتممنا قراءة هذه الرواية، حيث اتّضح لنا - من خلال أحداثها – أن العنوان له علاقة وطيدة بالشخصيات التي أنتجت العنف في الرواية ، ويتّجه مباشرة إلى

تلك "العصابة " التي تدرّبت على النهب والإقصاء والقمع على أولئك الذين وقفوا في وجه الفساد وناضلوا من أجل القضاء على هذه الفئة التي مثّلت السلطة آنذاك .. لقد تسبّبت في عناء هذه الفئة الهشّة من المجتمع فكانت رأس مآسيها " و" راس محنتها" ومصدر شقائها .

الهوامش:

1. تزيفيطان تودوروف، مفاهيم سردية ، تر: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2005،ص73.
2. دفيددیڤش، منهج النقد الأدبي تر/ محمّد يوسف نجم، مراجعة إيهاب عبّاس، دار صادر،بيروت، 1967،ص50.
3. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،المركز الثقافي العربي،ط1،بيروت 1990،ص213.
4. عز الدين جلاوجي ،راس المحنة، اتحاد الكتاب الجزائريين ط 2003،1م،ص 79،80.
5. المصدر نفسه، ص 127.
6. المصدر نفسه، ص 190.
7. المصدر نفسه ، ص194.
8. المصدر نفسه، ص103
9. المصدر نفسه ، ص104.
10. المصدر نفسه، ص190.
11. المصدر نفسه، ص92.
12. المصدر نفسه، ص87.
13. المصدر نفسه، ص119.
14. المصدر نفسه، ص 171.
15. المصدر نفسه، ص 190.
16. المصدر نفسه، ص 171.
17. المصدر نفسه، ص 171.
18. المصدر نفسه، ص 213.
19. المصدر نفسه ، ص214.
20. رجاء مكي /سامي عجم، إشكالية العنف، العنف المشرع والعنف المدان المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1، 14 -2008م، ص38،39.
21. راس المحنة ،ص216.
22. المصدر نفسه، ص214 ،215.
23. المصدر نفسه، ص32.
24. عبد الحميد هيمة، سميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لـ: عز الدين جلاوجي، دراسات نقدية في روايات عز الدين جلاوجي بأقلام نخبة من النقاد والباحثين،ص131.
25. راس المحنة، ص 32.

26. المصدر نفسه، ص32.
27. المصدر نفسه، ص 32،33.
28. ليث محمّد عيّاش، سلوك العنف وعلاقته بالشعور بالندم، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمّان، ط1، 1430هـ -2009م، س153.

قائمة المصادر والمراجع:

1. تزيفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر،2005.
2. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،المركز الثقافي العربي،ط،بيروت 1990.
3. دفيددیشش، منهج النقد الأدبي تر/ محمّد يوسف نجم، مراجعة إيهاب عبّاس، دار صادر،بيروت، 1967.
4. رجاء مكي /سامي عجم، إشكالية العنف، العنف المشرع والعنف المدان المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1، 2008م.
5. عبد الحميد هيمة، سميائية الشخصية النسوية في رواية راس المحنة لـ: عز الدين جلاوجي، دراسات نقدية في روايات عز الدين جلاوجي بأقلام نخبة من النقاد والباحثين.
6. عز الدين جلاوجي،راس المحنة، اتحاد الكتاب الجزائريين ، ط1، 2003.
7. ليث محمّد عيّاش، سلوك العنف وعلاقته بالشعور بالندم، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمّان، ط1، 1430هـ -2009